SIBAWAYH Arabic Language and Education Vol.2 No.1 2021
eISSN 2716-5515 (43-48)

أبو سُليمان الخَطّابيّومفهومُ الإعجاز القُرآنيّ

Abu Sulaiman AL-Khattabi and the Qura'anic Miracle

Qusay Salih Mutlag Humaidan
Directorate of Education in Anbar Province
AL-Mutafawiqeen Secondary School for Boys in Ramadi
Dr.q.salih@gmail.com

Published: 29 Jun 2021

To cite this article (APA): Humaidan, Q. S. M. (2021). أبو سُليمان الخَطّابيّومفهومُ الإعجاز القُرآنيّ. *SIBAWAYH Arabic Language and Education*, *2*(1), 43-48. https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.1.3.2021

To link to this article: https://doi.org/10.37134/sibawayh.vol2.1.3.2021

الملخّص

استَهدفَ البحثُ مفهومَ الإعجاز القرآني عند أبي سُليمان الخَطّابيّ (388هـ)، فتناولَ ما أُثِرَ في زمانه من نظرياتٍ ومفاهيم، بثّها في رسالته الموسومة: "بيان إعجاز القرآن"، وهي رسالة لطيفة في بابها.
تركّزتِ الدّراسةُ على توثيق ما سَبقَ المؤلِّفَ من نظرياتٍ في مكامن الإعجاز القرآني، ناقشها بنقده الموضوعي، وحسِّه المرهف، وذوقه الصّادق، فرفضَ أن يكون وجهُ الإعجاز فكرةَ الصِّرفة، كما رفضَ قضيةَ الإخبار عن الغُيوب، وهكذا، ثُمّ أخذَ في بيان وجوه الإعجاز في نظم القرآن وتأليفه.
إنّ مناقشة الآراء التي قيلتْ في الإعجاز وليستْ منه، وبيانَ عدم صحّتها ثُمّ رَفْضها، أوصلَه إلى نتائج عظيمةِ الأثر، كشفتْ عن وجهة نظره في فهم وجه الإعجاز.

كلمات مفتاحية # الخَطّابيّ_وجوه_الإعجاز_القرآني

Abstract

This research targeted the concept of Qura’anic miracle of Abi Sulaiman AL-Khattabi (388A.H). It handled the theories and concepts that were exposed in his time and implemented them in his thesis entitled: "Explaining the Qura’anic Miracles", which is a nice thesis in this field.
The thesis focused upon documenting the theories revealed before the author's time about the places of the Qura'anic miracle. He discussed them with his subjective critique, soft sense and honest sense. He refused the miracle to be the idea of inflection; he also rejected the issue of informing about hides. So, he started to reveal the miracle in the Qur'an systems and its authorization.
The discussion of the views that have been said in the miracle which are not of it and the exploring that they are not true and reject them brought him to great impact results which revealed his point of view in understanding the miracle.

Keywords: AL-Khattabi, miracles, fields, Qura'anic

المُقدّمة

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصّلاةُ والسّلام على سيّد المرسلين (مُحَمَّدٍ ﷺ)، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
فقد عَنيَ علماءُ المسلمين بالإعجاز القرآني أيَّما عناية وما زالتْ، فواصلوا تأليف الكتب، أو البحث فيها، أو تحقيق التّراث العربي؛ فضلًا عن تسخير الإعلام المرئي والمسموع من أجل إظهار ما في القرآن من جمالٍ لُغَوي، يفتح عين البصيرة قبل البصر، قال تعالى: **{فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}** (الحج:46)
ففي أثناء قراءاتي المتكرّرة في كتاب الخَطّابيّ: "بيان إعجاز القرآن"، مررتُ بآراءَ ومسائلَ في موضوعة الإعجاز القرآني، لَمْلَمْتُ ما له منها، ثُمّ وَضعتُ ما نَدّ لي من مادّة، وما عَنّ من أفكار في هذه الورقات، فبَيّنتُ وجهَ الإعجاز القرآني عنده ومَكمنَه، وردودَه على القائلين بغيره مستندًا إلى الدّليل العلمي، وصلى اللهُ على نبيّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم.

المبحث الأوّل: الخَطّابيّ ورسالته "بيان إعجاز القرآن"

المطلب الأوّل: الخَطّابيّ:

هو حَمْد -بسكون الميم- بنُ محمّد بن إبراهيم الخَطّابيّ -بفتح الخاء وتشديد الطّاء- البُسْتيّ، كنيته: أبو سُليمان.
وُلِد سنة (319هـ) في بُسْت (ابن كثير774،تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية،د.ت.،1-315)، وتوفّي فيها سنة (388هـ)، ويُغنينا الحديثُ عن ثقافته وعِلمه ما ذَكرَه العلماءُ من آراء مبثوثةٍ في كُتُب التّاريخ والتّراجم، وما تركَه من تُراثٍ كبير.
وبسبب استعداده المبكِّر للتّلقي؛ ورحلته الطّويلة؛ وكثرة شيوخه ومؤلّفاته، أضحى في مصافّ كبار أعلام الفكر الإسلامي في القرن الرّابع الهجري، إذ انمازتْ مصنّفاتُهم بالنّضج، وعمق الفكرة، وغزارة المادّة، ودقّة الاستنباط، ووضوح الشّخصيّة.
ومِن مؤلّفاته المطبوعة: "معالمُ السُّنن شرح سنن أبي داود"، و"أَعلامُ السُّنن أو =أعلام الحديث= في شرح صحيح البخاري"، و"غريب الحديث"، و"شأن الدّعاء"، و"إصلاح غلط المُحدِّثين"، و"بيان إعجاز القرآن"، و"العُزلة".
وله كتبٌ أخرى غيرُ مطبوعة، كما له جهودٌ قيّمة في كُتب اللّغة والنّحو، والفقه وأصوله، والحديث ومصطلحه، والتّفسير وعلوم القرآن، وله شعرٌ لكنّه قليلٌ . (البيـكات، الخَطّابي لُغويًا،2007، 1-68)

المطلب الآخر: رسالته "بيان إعجاز القرآن":

ممّا يُميّز هذه الرّسالةَ أنّ مؤلِّفَها من العلماء المتقنين لأكثر من فنّ، فهو مُحدّثٌ من أهل السُّنة والجماعة، له عنايةٌ باللّغة العربية، ونتيجةً لاهتمامه باللّغة والحديث؛ أضفى على رسالته اهتمامًا شديدًا.
ويُعَدّ من أوائل المؤلّفين في الإعجاز القرآني، ورسالتُه على صِغَرِها من أجمل ما كَتبَه من العلماء السّابقين، ففيها جمالٌ لُغوي وسياقٌ أدبي، وهي مُرتّبة الأفكار، وإن لم تكن مُبوّبة.
وهي مهمّة وذات قيمة، خاصّة في موضوعها، إذ فيها من العلم، والبلاغة العالية، والفكر النّقدي المضمر في طَيّ سُطورها الكثيرُ والنّافع (أبو موسى،دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني،د.ت.،31)؛ نظرًا للنّتائج العظيمة التي وصل إليها، وكشفتْ عن وجه الإعجاز.
تناولَ المؤلِّف محاورَ عدّة، رَصدها في أول رسالته، إذ أثبتَ عجزَ العرب عن معارضة القرآن العظيم وتحدّي النّبيّ (ﷺ)، وهو أبينُها دلالة وأيسرُها مؤونة، كما عرضَ أقوالَ العلماء السّابقين وناقشها، وكشفَ وجهَ الإعجاز القرآني عنده، وأبانَ وجوهَ المعارضة، وذكرَ الاعتراضات على القرآن الكريم وردَّها بأسلوب علمي.
وقد بَنَى كتابَه على طريقة النّظم، إذ ذهب فيه إلى أنّ قيام الكلام بثلاثة أركان، وأسهب في الحديث عن فصاحة الكلمة؛ لأنّها جزءٌ من فصاحة الكلام وبلاغته وحُسن النّظم، ووصفَ الكلمةَ بالفصاحة والجزالة البعيدة عن الغرابة؛ لأنّ البلاغة -في نظره- لا تعبأ بالغرابة (المراغي،علوم البلاغة،د.ت.،19). ومَن يعكف على دراسته أو تحليله، يرى أنّ المؤلِّف يستعرضُ الآراء التي قيلت في تبيين وجوه الإعجاز القرآني، ثم يناقشُها مُظهرًا ما لها وما عليها.

المبحث الآخر: مَكامن الإعجاز:

إنّ المبادئ النّقديةَ التي استُعمِلتْ في دراسات الإعجاز القرآني، تُعدّ مجالًا حقيقًا بالدّرس والنّظر، فكلّ صورة من هذه الصّور النّقدية، تضيقُ أو تتّسع بحسب ما وصل إلينا من مصادر(عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب 128/1983،1).
ويختلف العلماء في تحديد وجه الإعجاز في القرآن، إلّا أنّهم يتّفقون -عدا من رأى: قصرَ الإعجاز في الصّرفة- على أنّ الإعجاز البلاغي وجهٌ مهمّ، لا يمكن إغفاله، فقد عني الباحثون بهذا الجانب أكثر من غيره؛ فدوّنوا ملحوظاتِهم وآراءَهم وأفكارهم البلاغية، حتّى أضحتْ معظمُ الكُتب المؤلّفة في الإعجاز مصادرَ بلاغية.

وبعد أن يَعرضَ ما ذهب إليه سابقوه، يعالج هو الموضوع على طريقته، فيتناول موضوعات لم يوافق القائلين بها، فيقرّ أنّ النّاس قد ذهبوا في موضوع الإعجاز كلّ مذهب، ولم يَصدِروا عن رأي ورِيّ، ثم يعترف بتعذُّر معرفة وجه الإعجاز في القرآن، ومعرفة الأمر في الوقوف على كيفيته، لكنّه يختار (الإعجاز التّأثيري) كأهمّ وجه من وجوه الإعجاز مؤكِّدًا رأيَه فيه (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 21،2008 و70).
ولأجل هذا يُعدّ الخَطّابيُّ أوّل مَن أدارَ درسَ الإعجاز البلاغي على غير الوجه الذي أداره عليه غيرُه، فلم يتكلّم في التّشبيه ولا في الاستعارة، ولا في التّقديم ولا في البديع مما أَلِف النّاس الخوض فيه -إذ يتكلّمون عن الإعجاز البلاغي-؛ لأنّ هذه الفنون من سائر البلاغات، وإنمّا حاول أنْ يقع على البلاغة القرآنية التي هي كخلق الإنسان، ووضعِ الأرض، ورفعِ السّماء، فركّز على الجوانب البلاغية في الإعجاز القرآني (عبدالسلام،الإعجاز البلاغي في قصة يوسف، د.ت.،6، والشحود، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم،د.ت.،243/1).

المطلب الأول: نقض أوجه الإعجاز:

وقد ذكر ما شاع من أسباب تَعذُّر الإتيان بالقرآن، أو بعبارةٍ أدقّ: أين يكون مَكْمن الإعجاز؟ فناقَش كلّ فكرةٍ وقول، ثمّ رجّح وجهًا ثابتًا لإعجاز القرآن الكريم كالآتي:

• الصّرفة:

هي صَرفُ الهِمَم عن معارضة القرآن العظيم، اعتمد عليها بعضُ أهل العلم في أنّ القرآن مُعجِزٌ من جهة صرف الهِمم، وهذا خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات الدّالة على النّبوّة، فلو جازتِ المعارضة لم يكن الكلام معجزًا، بل المنعُ هو المعجز، وحينئذٍ لا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره (الباقلاني، إعجاز القرآن،1997، 12و30، والجرجاني، دلائل الإعجاز،د.ت.،328).
وذكر قومًا قالوا بها، فقال: ((وذهبَ قومٌ إلى أنّ العلّة في إعجازه الصِّرفة، أي: صرفُ الهِمم عن المُعارضة)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن،2008، 22، وهوتسما،موجز دائرة المعارف الإسلامية، 1998، 8249/26)، ثمّ ردّ هذا القول بقوله: ((وإن كانتْ مقدورًا عليها وغير معجزة عنها، إلا أنّ العائق من حيث كان أمرًا خارجًا عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 22).
وهو وجه قريب في نظره إلا أنّه مُخالِفٌ لدلالة قوله تعالى: **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}** (الإسراء:88)، فنبّهَ الباري تعالى ((إلى أمرٍ طريقُه التكلّف والاجتهاد، وسبيلُه التأهّب والاحتشاد، والمعنى في الصِّرفة التي وصفوها لا يلائم هذه الصّفة، فدلّ على أنّ المراد غيرُها)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 23).

• الإخبار عن المستقبل:

شاعتْ فكرةُ تضمُّن القرآن لأخبار المستقبَل كوجهٍ من أوجه الإعجاز، لكن الخَطّابيّ لم يَرتَضِها تفسيرًا لأسراره، فقال: ((وزعمتْ طائفةٌ أنّ إعجازَه إنما هو فيما يتضمّنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الأزمان، نحو قوله تعالى: **{الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ}**(الروم:1-3)، وكقوله سبحانه: **{قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ}**(الفتح:16)، ونحوهما من الأخبار التي صَدقتْ أقوالها مواقع أكوانها)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 23-24) إلى يوم النّاس هذا؛ إذ لن تنقضي عجائبُه.
وهذا جزءٌ من إعجازه، لكنّه ليس بأمرٍ عامٍّ في كلّ سورةٍ بلهَ في كلّ آية، إذ لكلّ سورة قرآنية إعجازٌ بنفسها لن يأتي بمثلها بشرٌ، لذا كان تحدي الله تعالى لمن لا يؤمن، بأن يأتي بسورة غير معيّنة، قال تعالى: **{فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ}**(البقرة:23).

• البلاغة:

مالَ الخَطّابيّ إلى رأي الجمهور في أنّ البلاغة أهمُّ وجه للإعجاز، لكنّه لامَ مَن سبقه مِن العلماء، وأقرَّ بعجزِهم عن إبراز تفاصيل وجوهِ الإعجاز؛ لأنه صعب عليهم تفصيلها، وصَغَوا فيه إلى حكم الذوق (المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، 194/10).
وعابَ على مَن جعلَ بلاغة القرآن سببًا في إعجازه من غير تعليل، إذ قال: ((وزعم آخرون أنّ إعجازه من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النّظر)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 23-24)؛ إذ هم غير متّفِقِينَ على أمرٍ ظاهر يمكن التّفريق به بين القرآن وغيره من الكلام، ولا يمكنهم تحديد تلك المواطن، فإنْ سُئلوا ((قالوا: لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر، نعلم به مباينةَ القرآن غيره من الكلام)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 24)، وممّا قالوه: ((وقد توجد لبعض الكلام عذوبةٌ في السّمع، وهشاشةٌ في النّفْس، لا توجد مثلُها لغيره منه، والكلامانِ معًا فصيحان، ثمّ لا يُوقفُ لشيء من ذلك على علّة. قلتُ: وهذا لا يُقنِع في مثل هذا

العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنّما هو إشكال أُحيل به على إبهام)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 24)؛ لاعتمادهم على التّقليد، وابتعادهم عن التّحقيق، وضعف حُجّتهم عن الإقناع، قال: ((ووجدتُ عامّةَ أهلِ هذه المقالة قد جَرَوا في تسليم هذه الصّنفة للقرآن على نوع من التّقليد، وضربٍ من غلبة الظّنّ، دون التّحقيق له وإحاطة العلم به)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 24).

- **اجتماع اللّفظ الفصيح، والمعنى الصّحيح، والنّظم الحسن التّأليف:**

بعد أن مَرّ على ما سبقه من إشاراتٍ إلى مَكامن الإعجاز القرآني، وَضعَ ركابَه هنا؛ إذ يذكر العلّة ويعالجها، فيجعل الإعجاز كامنًا في مجيئه بأفصح الألفاظ، مُصطحبًا أصحّ المعاني، يجمعهما أحسن نظم في التّأليف بقوله: ((واعلمْ أنّ القرآن إنّما صار مُعجِزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نُظُوم التّأليف، مُضمَّنًا أصحّ المعاني)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 27).

والأسلوب في نظر الخَطّابيّ قِوامه ودِعامة بنيانه الألفاظ، فلو حاولتَ أن تنزع كلمة من آية قرآنية لتضع غيرها مرادفة لها، لاختلّ البناء واضطرب، فوضْعُ كلّ لفظ من الألفاظ موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أُبدل مكانَه غيرُه، تبدّل المعنى فيفسد الكلام، أو يذهب رونقه، وبهذا انتهى إلى أنّ الألفاظ لها مقصد خاصّ من المتكلّم، إما لنغمتها وإما لمعناها أو هما معًا، ولا يكون مرادفها صالحًا لأنْ يحلّ محلّها (أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، 1394، 77/1).

والأُممُ مهما عَلَتْ وارتقتْ، تبقى عاجزةً عن لَمّ شَتاتِ أمورٍ مختلفةٍ في أبلغ نصٍ أدبي عرفتْهُ البشريةُ، فلم ولن تبلغَ أمةٌ أنْ تجمعَ بين توحيدٍ للهِ، وتنزيهٍ لصفاته، وبيانٍ بمنهاجِ عبادتهِ من تحليلٍ وتحريم، وحَظرٍ وإباحة، ومن وعظٍ وتقويم، وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، وإرشادٍ إلى محاسن الأخلاق، وزجرٍ عن مساوئِها، واضعًا كلَّ شيءٍ منها موضعَه الذي لا يُرى أليق منه، مُودِعًا أخبارَ القرونِ الماضية، مُنبئًا عن الكوائن المستقبَلةِ في الأعصار الباقية، جامعًا في ذلك بين الحجّةِ والمحتجّ له، والدليلِ والمدلولِ عليه، ليكونَ أوكدَ للزوم ما دعا إليه، وإنباءً عن وجوب ما أمرَ به ونهَى عنه، فالإتيان بمثْل هذه الأمور، والجمع بين شَتاتها حتى تنتظمَ، أمرٌ تَعجزُ عنه قُوى البشر (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 27-28).

وأكّدَ هذا المعنى حين شَرحَ معنى قول القائل: سبحانَ الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، بقوله: ((إنّ هذه الكلماتِ موجودةٌ في القرآن، وليست بقرآنٍ من جهة النّظم، فيكون آيةً متلوّة، وهذا يدلُّ على أنّ إعجاز القرآن إنّما هو في لفظه ونظمه، معًا لا في لفظه فحسب)) (الخَطّابي، شأن الدعاء،1984، 161).

ثُم يُعرّجُ على وجهٍ آخرَ من وجوهِ الإعجاز، إنّه صنيعُه بالنّفوس البشرية، إذ يُعدّ هو أوّل من لَفَتَ الانتباهَ إليه، وهو ما يمكنُ أن نُسميه: بالإعجاز النفسي (مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، 2005، 72، وجبريل، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د.ت، 27)، قال: ((في إعجازِ القرآن وجهٌ آخرُ ذهبَ عنه النّاسُ، فلا يكادُ يعرفُه إلا الشّاذُّ من آحادِهم، وذلك صنيعُه بالقلوب، وتأثيرُه في النّفوس)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 70).

وهذه الفكرةُ هي التي دارَ حولَها بحثُ عبدالقاهر الجُرجاني (471ه) في كتابه: "أسرار البلاغة"، إذ عَدّ مصدرَ البلاغة في الكلام تأثيرُه في النّفوس (الجرجاني، أسرار البلاغة، 2001، 126و160، وأحمد، الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، 1984، 113)

ومهما بلغَ الكلامُ الذي نقرأُه أو نسمعُه من درجات البلاغة، وما يصاحبُه من حُججٍ وإقناع، ورصفٍ للألفاظ والمعاني، وسحرٍ للبيان ((فإنّك لا تسمعُ كلامًا في القرآن منظومًا ولا منثورًا، إذا قَرعَ السّمعَ خَلصَ له إلى القلب من اللّذةِ والحلاوة في حالٍ، ومن الروعة والمهابة في أخرى، ما يَخلُصُ منه إليه، تستبشرُ به النّفوسُ، وتنشرحُ له الصّدور، حتى إذا أخذتْ حظَّها منه، عادتْ مُرتاعةً قد عراها الوجيبُ والقلقُ، وتغشّاها الخوفُ والفَرَق، تقْشعرُّ منه الجُلودُ، وتنزعِجُ له القلوبُ، يجولُ بين النَّفْس وبين مُضمراتِها وعقائدها الراسخة فيها)) (الخَطّابي، بيان إعجاز القرآن، 2008، 70)، فيستشعر القارئ الفخامة في الرّوعة والمهابة من القوارع والزّواجر، ويتذوّق العذوبة في الحلاوة واللّذة من خلال كلماته، فهذه المزايا أعجزتِ العربَ عن الإتيان بمثله.

المطلب الآخر: أمثلة قرآنية من السيرة النبوية والمفهوم:

وهكذا نجده قد استوعبَ ما قاله سابقوه في وجه الإعجاز، وعَمّقَ مفهومَ النّظم القرآني بهذه التقسيمات (مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، 2005، 72)، ثُمّ يستعرضُ أمثلةً لهذا التّأثير والصّنيع قد وقعتْ للنبيّ (مُحَمَّدٍ ﷺ) منها:

حين أقبلَ مَن يُريدُ اغتيالَه وقتْلَه، فلما سمعَ آياتٍ من القرآن الكريم، تحوّلَ عن رأيه الأوّل ورجعَ القهقرى بغير الذي جاء به، بل ركنَ إلى مُسالمته، أو صار كفرُه إيمانًا، مثل قصّة إسلام عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه) حين سمعَ أختَه تقرأُ آياتٍ من سورة طه، فما لبثَ أنْ آمنَ (ابن حنبل، فضائل الصحابة، 1983، 279/1، والمقدسي، الأحاديث المختارة، 2000، 139/7(2573)).

وقصّة عُتبة بن ربيعة لَمّا بعثتْه قريشٌ إلى رسول الله (ﷺ)، فقرأ عليه آياتٍ من سورة السّجدة، فرجع، فلمّا أبصرَه الملأُ من قريش، قالوا: أقبلَ أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به (البيهقي، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، 1401، 267، والبيهقي، دلائل النبوة، 1988، 205/2).

وقرأ رسولُ الله (ﷺ) القرآنَ الكريم على نفرٍ من الأنصار، فآمنوا به، ثُم عادوا إلى المدينة، فأظهروا بها الدّين (الطبراني، المعجم الكبير، د.ت، 362/20، والبيهقي، دلائل النبوة، 1988، 225/2).

ولَمّا سمعتْه الجنُّ (الدارمي، سنن الدارمي، 2000، 2099/4، والطبراني، المعجم الكبير د.ت، 84/20، والطبراني، مسند الشاميين، 1984، 258/3، والأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 1974، 253/5) لم تتمالكْ أن قالتْ: **{إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ} (الجن:1-2)**.

ودلالةُ الآياتِ القرآنية على صنيعِها بالقلوب وتأثيرِها في النّفوس، وبعثِها الخشيةَ على الجماد الذي لا روحَ فيه، وقشعريرةِ الجلد، وسكبِ الدّموعِ حادثةٌ لكلّ مُتدبرٍ لألفاظه ومعانيه، مُستشعِرًا عظمةَ الباري وقدرتَه، قال تعالى: **{لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ}**(الحشر:21)، وقال تعالى: **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}**(الزمر:23)، وقال تعالى: **{وَإِذا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ}**(المائدة:83).

مفهوم الإعجاز عنده:

اختلف حديثه في النّظم القرآني بعض الاختلاف عن أحاديث سابقيه (الجاحظ، وابن قتيبة، والرّمّانيّ)، فأضاف بُعدًا جديدًا إلى مفهوم الإعجاز، وأطلق أوصافًا عامّة في النّظم، فعمّق مفهومه بإضافات جديدة ومعاني لطيفة سديدة (مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، 2005، 70/1-73)، فانمازتْ نظريتُه بالفخامة والعذوبة، واختار "الإعجاز النّفسي والتّأثيري" كأهمّ وجه من وجوه الإعجاز، فعُدّ أوّلُ مَن لَفَتَ الانتباهَ إليه، ووصلَ إلى نتائج عظيمة الأثر في فهم الإعجاز.

فبانَ من هذا السّرد ما كان متداوَلًا من مفاهيم الإعجاز في تلك الحقبة، علاوةً على استنتاج مفهوم الإعجاز القرآني عند أبي سُليمان الخَطّابيّ، كما جاءَ البحث أشبهَ بقراءةٍ في كتاب: "بيان إعجاز القرآن" فجمع وأمتع.

المصادر والمراجع

- الضياء المقدسي (643هـ)، الأحاديث المختارة، 2000، تحـ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش، مكـ النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط3.
- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر (471ه)، أسرار البلاغة في علم البيان،1422-2001 تحـ عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
- البيهقي(458)، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، 1401، تحـ أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1.
- عبد السلام، علي الطاهر، الإعجاز البلاغي في قصة يوسف، د.ت.، مكـ الشاملة.
- الباقلاني، أبو بكر (403هـ)، إعجاز القرآن، 1997، تحـ: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5.
- الشحود، علي بن نايف، الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، د.ت.، مكـ الشاملة.

- الخَطّابي، حَمْد بن مُحمّد (388هـ)، بيان إعجاز القرآن، 2008، تحـ محمد خلف الله أحمد ود. محمد زغلول سلام، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، ط5.
- عباس، د.إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، 1983، دار الثقافة، بيروت، ط4.
- ابن كثير (774)، تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية، د.ت. موقع الإسلام، شبكة المعلومات.
- الأصبهاني، أبو نعيم (430)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 1394-1974، مكـ السعادة، بجوار محافظة مصر.
- أبو موسى، محمد محمد، خصائص التراكيب: دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د.ت.، مكـ وهبة، ط 7.
- البيـگـات، قصي صالح، 2007، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية.
- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، د.ت.، تحـ ياسين الأيوبي، مكـ العصرية، الدار النموذجية،ط1.
- البيهقي، دلائل النبوة، 1408-1984، تحـ د. عبد المعطي قلعـجـي، دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، ط1.
- الدارمي (255)، السنن 1412-2000، تحـ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1.
- الخَطّابي، حمد بن محمد، شأن الدعاء، 1984، تحـ أحمد يوسف الدّقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1.
- المراغي، أحمد بن مصطفى، علوم البلاغة: البيان، المعاني، البديع، 1371.
- جبريل، محمد السيد، عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د.ت. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مكـ الشاملة.
- ابن حنبل، أحمد (241)، فضائل الصحابة، 1403-1983، تحـ د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- مسلم، د.مصطفى، مباحث في إعجاز القرآن، 1426-2005، دار القلم، دمشق، ط3.
- المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، د.ت.، مكـ الشاملة.
- الطبراني (360)،مسند الشاميين، 1405-1984، تحـ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1.
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، المعجزة الكبرى القرآن، (1394هـ)، دار الفكر العربي.
- الطبراني، المعجم الكبير، د.ت. تحـ حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكـ ابن تيمية، القاهرة، ط2.
- هوتسما، تحرير أرنولد، باسيت، هارتمان، موجز دائرة المعارف الإسلامية، 1418-1998،الأجزاء (أ-ع) اعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبدالحميد يونس، الأجزاء (ع-ي) ترجمة: نخبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية. المراجعة والإشراف العلمي: أ.د. حسن حبشي، أ. د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، أ.د. محمد عناني، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1.
- أحمد، محمد خلف الله، الوجهة النّفسية في دراسة الأدب ونقده، 1984، دار العلوم، الرياض.